المحاضرة الثانية

شرح كتاب الإبانة الصغرى للإمام ابن بطة – رحمه الله تعالى –

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبدُ الله ورسولُه، نستكمل رحلتنا - بحول الله وقوته - مع الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة للإمام ابن بطة العكبري – رحمه الله وطيب ثراه –، وصلنا إلى ما ذكره في حث النبي -صلى الله عليه وسلم- على التمسك بالسنة

٧- **وقال** -صلى الله عليه وسلم- : **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ،** ونحن قد قلنا "عليكم" هذا اسم فعل أمر بمعنى الزموا سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، ونؤكد مرة أخرى: إن ذكر السنة ليس معناه التزام بعض المستحبات دون بعض، لأن السنة الشرعة، السنة الملة، إذاً الشريعة والعقيدة التي جاءنا بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تدخل في معنى قوله : **عليكم بسنتي**، فإذاً هنا الأمر بالواجب واجب، والأمر بالمستحب مستحب، الأمر بالواجب الكفائي واجب كفائي، والأمر بالواجب العيني واجب عيني، فإذاً أنت لا تأخذ كل شيء يَمُتُ للسنة بصلة وتقول إن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال (عليكم بسنتي) إذاً كله واجب، لا هذا خطأ شديد .

٨- **وقال** -صلى الله عليه وسلم- **: لقد جئتكم بها** – أي الشرعة والملة – **بيضاء نقية فلا تختلفوا بعدي**. وهذان حديثان صحيحان.

٩- **وقال** -صلى الله عليه وسلم- : **قد تركتكم على الواضحة** يعني الطريقة الواضحة، أو الطريق الواضح، منهاج النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- مثل رابعة النهار، **قد تركتكم على الواضحة؛ فلا تذهبوا يمينـًا ولا شمالاً**. وهذا لم يصح مرفوعًا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ولكن صح موقوفاً على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : لقد تركتم على الواضحة فلا تذهبوا يميناً ولا شمالاً.

١٠- **وقال** -صلى الله عليه وسلم- **: إن اللهَ ليُدخلُ العبدَ الجنةَ بالسنة يتمسك بها**. هذا إسناده ضعيف ولكن المعنى صحيح، إشكالية الإمام ابن بطة - رحمه الله تعالى – أنه كان يجمع كل الآثار التي يقف عليها، فممكن تقف على كثير من الضعيف، بل بعض الموضوعات أحياناً، وطبعاً الموضوع ليس موضوعًا باتفاق فلننتبه، نادرًا ما تجد أكثر الموضوع موضوع باتفاق، فبعض أهل العلم حكم بوضعه،

وبعضهم ضعفه ونحو ذلك، وطبعاً هو يمكن أن يكون مقصوده في المسألة إضفاء المعنى العام، فيأتي بكل المجموع الذي يفيد التواتر بالمعنى العام؛ فلا يضر الآثار الهنات التي لا يُبنى عليها الحكم بمفردها.

١١- **وقال** -صلى الله عليه وسلم- : **والله لو أن موسى وعيسى حيَّان لما حَلَّ لهما إلا أن يتــَّبعاني.** وواضح أنه رواه بالمعنى، لأن لفظ ذكر عيسى - **عليه السلام** - لم يرد في حديث صحيح، لكن صح أن النبي -**صلى الله عليه وسلم**- قال فيما رواه أحمد : **لو كان موسى حياً بين أظهركم ماحلّ له إلا ان يتبعني**، والنبي -**صلى الله عليه وسلم**- قال هذا الكلام حينما وجد الصحابة – **رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم** – في يد بعضهم بعض صحائف من صحائف بني إسرائيل، توراة أو غير التوراة، فالنبي -**صلى الله عليه وسلم**- غضب ، قال له لماذا تقرأ في التوراة؟ لو كان نبي التوراة نفسه موجودًا الآن كان سيترك جميع ما نزل إليه؛ لأنه نُسخ ويلتزم شرعة محمدٍ -**صلى الله عليه وسلم تسليماً** - .

١٢- **وخرج** -صلى الله عليه وسلم- **وهم يتنازعون في القرآن،** الصحابة - **رضي الله عنهم** - قبل أن يفصل لهم النبي -**صلى الله عليه وسلم**- المقالة في القدر، وقبل أن يُحدثَهم بالأحاديث التي أوحى الله - **عز وجل** - بها إليه في هذا الباب بدءوا يتكلموا، الكلام أتى ببعضه وخاضوا في مسألة القدر؛ فنهاهم النبي -**صلى الله عليه وسلم**- نهيًا شديداً حيث **قال : أبهذا أُمرتم**، يعني بالخوض فيما لا علم لكم به؛ لأن هذه هي المسألة، وإلا باب القضاء والقدر من أبواب الإيمان، وركن من أركان الإيمان، ليس ممنوع أن تتكلم فيه ولا إن أنت تذكر أدلته، ولا أنك تبحث مباحث وتدرسها ، لكن الممنوع هو الكلام في دين الله بلا علم، والقدر أكثر هذه الأبواب حساسية، فإن لم يكن عندك علم ثابت، وعقل راسخ، واتصال بأهل العلم الكبار، لا تفتح هذه الملفات، وإلا هذا أمر صعب على الإنسان، **قال :وخرج وهم يتنازعون في القدر، فقال : أبهذا أُمرتم!؟ أوليس عن هذا نـُهيتم؟! إنـَّما هلك من كان قبلكم بتماريهم في دينهم.**

هنا نقل الإمام البربهاري نقل خالص حوال أمر المنازعة بالقدر نسمعه وليس بالضروري نكتبه، قال الإمام - **رحمه الله تعالى** –، ولماذا نأتي بالبربهاري وابن بطة؟ لأنهم حنابلة يغطي بعضهم بعضًا، فحينما لا نجد تتمة نأتي من الخارج، على أساس يكون في نوع من الاتصال النفسي، قال الإمام البربهاري - **رحمه الله تعالى** –: والكلامُ والجدلُ والخصومةُ في القدر خاصةً منهيٌ عنه، عند جميعِ الفرق لأن القدرَ سرُّ الله، فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان واعتقاد ما قاله النبي –صلى الله عليه وسلم– في جملة الأشياء، وهذا الذي سيُريحك، ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام.

فلا بد أن تدخل في باب القدر بهذا المعنى، ثم بعد ذلك تتعلم دينك وتقرأ الآثار عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وشروح الآثار عن أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- والأمر سيتضح، والعلم نور كما قيل.

١٣- **وخرج** -صلى الله عليه وسلم- **على أصحابه** – رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم - **وهم يقولون : ألم يقل الله كذا وكذا؟ يرد بعضهم على بعض،** كأن واحدًا ينزع بآية والثاني ينزع بآية أخرى، كأن في موهم تعارض بين الآيات، يعني يقول الآية هذه ليست كشكل الآية تلك، والآية هذه فيها إثبات والآية هذه فيها نفي، والآية هذه فيها أمر وعن نفس الشيء يوجد نهي، فإذاً كيف ذلك، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- قال لهم : هذه طريقة خطأ في التعامل مع القرآن، **خرج على أصحابه وهم يقولون : ألم يقل الله كذا وكذا؟** وكلٌ ينزع بآية، **يرد بعضهم على بعضٍ فكأنما فُقِئَ في وجهه حبُ الرمان،** عند اشتداد الغضب والحمرة ظهرت على النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، **فقال : إنما أفسد على الأمم هذا.** إنما أفسد على الأمم دينهم هذا، المراء بلا دليل، وضرب آيات القرآن بعضها ببعض، وضرب القرآن والسنة بعضها ببعض، وضرب السنن بعضها ببعض، لأنه خرج من مشكاة واحدة﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ النساء: ٨٢ والقرآن يصدق بعضه بعضًا، والسنة تصدق بعضها بعضًا، والقرآن يصدق السنة، والسنة تصدق القرآن، لا يوجد أي تعارض أبداً؛ ولذلك كان من أدب العلماء – رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم - في القديم والحديث، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها من ميراث النبوة في هذا الباب أن قالوا : ليس هناك تعارض بين الوحي قرآناً وسنة، لا بين القرآن والقرآن، ولا بين السنة والسنة، ولا بين السنة والقرآن، فإن كان ثمة تعارض، فسوف تقول إيهامًا أنه يوجد تعارض؛ لأنه لا يوجد، فإن تحقق التعارض فعلاً فإذاً واحد منهم غير صحيح.

فإما أن السنة هذه غير صحيحة، وإما أن الحديث هذا غير صحيح، لن نقول أن القرآن ليس صحيحًا، أو أنك تفهم الآية على غير ظاهرها، فنرجع ونبحث عن مسألة أنه إيهام، وليس تعارضاً حقيقياً، ولذلك الكثير من العلماء يقولوا : موهم الاضطراب، دفع إيهام الاضطراب، والعناوين قريبة من هذا المعنى، تأويل مشكل الحديث، تأويل مختلف الحديث، هذه آداب من علماء السلف والسنة والجماعة، وإنما لا أقول الآية هذه تناقض الآية هذه، بل أقول أنا عندي تناقض، عندي أنا تعارض، المشكلة فيَّ وليس في النقل، وإلا علماء الإسلام – رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم - أفردوا مؤلفات عديدة في هذا الباب، لحل الإشكالات الظاهرة بين الآيات بعضها ببعض، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة - رحمه الله تعالى –كتاب كبير وليس بصغير، مختلف الحديث للإمام الشافعي - رحمه الله تعالى –بحث مفرد، تأويل مختلف الحديث للإمام ابن قتيبة

بحث مفرد، والأدلة كثيرة جدًا في القديم والحديث، والبحوث العلمية ودراسات الماجستير والدكتوراة الآن تسد عين الشمس بفضل الله، والقانون الكلي العام في هذه المسألة ما كان مثبتاً في موضع من كتاب الله، وجاء شبيهه أو نظيره منفياً، أو كان مأموراً به وجاء شبيهه أو نظيره منهياً عنه.

فتلقائيًا تقول أن المثبت غير المنفي، المأمور فيه غير المنهي عنه، هذا إذا لم يكن هناك وجه من وجوه الجمع أبداً، لأجل هذا نقول هنا إن المسائل إيهام التعارض ليست هناك تعارضات حقيقة ولا مناقضات حقيقية، ولا يوجد أي موضع مهما كانت صعوبة المشهد فيه، حتى لو سمعته لأول مرة، لو أنك رددته لأهل العلم الكبار سوف تنتهي المسألة.

من التحدث بنعم الله - **عز وجل** - مسألة جديدة عليَّ: أنا أسير في الطريق ،وأحد الناس اتصل عليَّ بالتليفون سؤال، اتفضل، قال لي : في حديث، هذا أستاذ جامعة يقول للطلبة، والطالب يشتكي إليّ بوجود إشكال، في حديث يقول إن النبي -**صلى الله عليه وسلم**- قال : "**والذي نفسي بيده لو أن الشيطان رآك سالكاً فجاً لسلك فجاً غير فجك**" هذا لمن؟ لعمر - **رضي الله عنه** -، والحديث هذا صحيح ولا ضعيف؟ صحيح، هل هناك أحد يشكك في هذا الحديث؟ لا، وعندنا حديث ثانٍ في الصحيح أيضاً أن النبي -**صلى الله عليه وسلم**- قال :**إن إبليس تفلت عليَّ البارحة معه شعلة من نار، يريد أن يحرق وجهي.** فكيف الشيطان يرى عمر - **رضي الله عنه** - فيختبأ في طريق ثانٍ؟! ومن جهة ثانية جاء يحرق وجه النبي -**صلى الله عليه وسلم**- في النار؟!!

فالدكتور لأجل أن يجمع قال: يا جماعة المسألة غير ذلك، ليس ذلك شيطانًا حقيقيًا الذي يهرب من عمر - **رضي الله عنه** - ولا شيطانًا حقيقيًا الذي تعرَّض للنبي -**صلى الله عليه وسلم**- ، بل هذا نوع من أنواع المبالغة بمنزلة عمر – يريد الدكتور أن يهرب –، قال لي هذا هو جواب الدكتور في كلية كذا من الكليات الشرعية الرسمية عندنا، إذاً لماذا لم يُكلف نفسه ويرجع للمصادر؟

أولاً النبي -**صلى الله عليه وسلم**- لما قال ذلك في عمر قال : إذا رآك الشيطان سالكًا فجًا يعني قرين عمر، يعني قرين عمر لمـّا لا يتمكن من أن يُثنيَ عمر عن الحق الذي هو فيه، وهذه من تيسيرات ربنا – **سبحانه وتعالى** - ، أو أي شيطان من الشياطين، أقصاها أنه إذا رآه سالكاً فجًا سلك فجاً آخر، اقتصر الشر وهذا في حاله وهذا في حاله.

لكن عندما تعرض الشيطان للنبي -**صلى الله عليه وسلم**- ماذا عمل النبي ؟ وهو معه شعلة من النار يريد أن يحرق وجهه، أقرأ الحديث لآخره، قال : **فأمكنني الله منه فخنقته**، عمر - **رضي الله عنه** –

يستطيع أن يخنق الشيطان؟ لا، **فصرعته وذعته حتى أحسست ببرد لسانه على كفي، ولولا دعوة أخي سليمان لربطته في سارية المسجد يلعب به صبيان المدينة** ، والله لا عمر ولا أبو بكر ولا الأنبياء يستطيعون أن يفعلوا ذلك إلا ما آتاهم الله - **عز وجل** - ، فهذه فضيلة للنبي -**صلى الله عليه وسلم**- فقط، فمن يكسب بذلك في باب الموازنات؟ فهذا في حق النبي -**صلى الله عليه وسلم**- وليس في حق عمر - **رضي الله عنه** -.

أضف إلى ذلك أن عمر أقصاها إنه يكون قرين عمر - **رضي الله عنه** -، إنما الذي جاء للنبي -**صلى الله عليه وسلم**- كان إبليس، المعلم الكبير وليس أي حد، يعني القرين مجرد جندي من جند إبليس، هذا الذي يتعامل مع عمر - **رضي الله عنه** - بسلمية يعني أنت في طريق وأنا في طريق ، إنما النبي -**صلى الله عليه وسلم**- قاتل رئيسهم وأباهم وأصلهم، وصرعه وخنقه وذعه حتى أحس ببرد لسانه، والرد بسيط ليس بحاجة لمجهود. فأنا أقول لك أن تثق تماماً، إنه ما من أثرين أو آيتين أو آية وحديث، وكان بينهما تعارض إلا ووجدت ردودًا تسد عين الشمس عند علماء الإسلام - *رحمهم الله* –في القديم والحديث. **إنما أفسد على الأمم هذا، فلا تضربوا كتاب الله بعضه ببعضٍ فإن ذلك يوقع الشك في قلوبكم**. والأثر هذا رواه الإمام الترمذي وابن ماجه والطبراني في الأوسط وصححه الشيخ الألباني - **رحمه الله تعالى** –في تخريج الطحاوي.

١٤- **وقال** -صلى الله عليه وسلم- **: لا تجالسوا أهل القدر فإنهم الذين يخوضون في آيات الله**. والمعنى لا تجالسوا من انحرف عن الجادة في القدر، أهل القدر هذه شتمة وليس أهل القدر المؤمنين به، حينما يُقال القدرية تُقال على سبيل الذم؛ لأنهم إما أن يكونوا غالوا في إثبات القدر في حق الله - **عز وجل** -، وإما أن يكونوا هم غالوا في نفي القدر في حق الله - **عز وجل** -، وهؤلاء طَرَفي نقيض، الجبرية ومعتزلة القدرية، ولهم فصل مستقل في الكتاب معنا في باب الإيمان وأركانه الستة.

١٥- **وقال** -صلى الله عليه وسلم- **: المراء في القرآن كفرٌ**. وهذا حديث صححه الشيخ الألباني أيضاً في السلسلة الصحيحة، **المراء في القرآن كفرٌ**، وهذا المراء الذي يعني الجدل بلا حجة والمناقشة بلا أصول علمية، هذا المراء على وجهين : الأول ما كان قبل جمع المصحف في زمن النبي -**صلى الله عليه وسلم**- ، ما الذي كان يحصل؟ إن بعضهم كان يُنكر قراءة بعض، أن أحدًا يسمع آخر يقرأ القرآن على الطريقة التي يقرأها من الأحرف السبعة، يقول له ليس هذا القرآن الذي عرفته من النبي -**صلى الله عليه وسلم**- كما حصل مع عمر – رضي الله تعالى عنه وأرضاه -، وكما حصل مع أُبي بن كعب – رضي الله تعالى عنه وأرضاه ،

سمع رجلاً يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأه رسول الله -**صلى الله عليه وسلم**- ، هذه مرحلة كانت في أول التشريع وأذهبها الله - **عز وجل** -، رحمةً بالأمة.

لما النبي -**صلى الله عليه وسلم**- نزل عليه القرآن على حرف قريش، على لسان قريش؛ جاءه جبريل – **عليه السلام** – فقال :يا محمد استزد ربك، لأن حرفًا واحدًا سيؤدي إلى أزمة، أزمة ثقافية وأزمة مجتمعية وأزمة عقدية وانشقاق في الأمة فيما بعد، لماذا؟ لأن العرب كان عندها نوع من أنواع التعصب الشديد لألسنتها ولغتها وأحرفها العربية، كل قبيلة لها لغة عربية خاصة بها، كانت لغة أهل مكة في ذلك الوقت هي اللغة التي يسميها الآن مصطلح علماء اللغة المعاصرين: اللغة المعيارية، اللغة المعيارية التي كل العرب يتكلمون بها، ويكتبون بها قصائد المعلقات، العشرة مكتوبة بلغة واحدة، رغم أنهم الشعراء كل واحد من قبيلة ، لكن يوجد لغة رسمية يُكتَب بها، اللغة الرسمية هذه التي نزل بها القرآن.

فهنا الآن بعد فترة الناس سوف تتعصب للغتها، ممكن أن يهجروا القرآن ولا يؤمنوا به ولا يتبعوا النبي -**صلى الله عليه وسلم**- ، فاستزاد النبي -**صلى الله عليه وسلم**- ربه مرة بعد مرة حتى أنزل الله القرآن على سبعة أحرفٍ، سبع لغات عربية، وكان على سبيل التوسعة في أول الأمر؛ حتى يستقر الإيمان في القلوب في ذلك الوقت حصل التنازع هذا، قراءتي خيرٌ من قراءتك، مصحفي خيرٌ من مصحفك، ليست هذه كما أقرأنيها رسول الله -**صلى الله عليه وسلم**- ، وظل الأمر هكذا إلى أن نَسخ الله ذلك أو أجمعت الأمة على لسان قريش كما نزل أول مرة وانتهى الأمر، وهذا الذي عمله عثمان بن عفان – **رضي الله تعالى عنه وأرضاه** -عنه في كتابة المصحف والموضوع هذا في رحلة طويلة تأخذونه في علوم القرآن بتفصيل يليق بدرسه.

المرحلة الثانية وهي التي تقع ولاتزال يقع بين أهل الأهواء، وهو المراء الذي قال عنه النبي -**صلى الله عليه وسلم**- : **المراء في القرآن كفرٌ**، وكذلك المذاهب المبتدعة من اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله على غير وجهه، مثلاً القدرية سوف يردون على الجبرية بآيات يضرب بعضها بعضاً، والخوارج سوف يردون على المرجئة بآيات يضرب بعضها بعضاً، لا هذا مسلم لهذا، ولا هذا مسلم لهذا، فهذا مراء يصل بصاحبه لحد الكفر.

١٦- وقال -صلى الله عليه وسلم- : **إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه - يعني القرآن -** . وهذا الحديث صحيح بشواهده، ومن شواهده ما رُوي عن خباب بن الأرت موقوفًا بإسنادٍ صحيح أنه قال : تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تتقرب إلى الله بشيءٍ أحب إليه من كلامه – يعني القرآن –، وأنت طالب علم عقيدة وتؤمن أن القرآنَ كلامُ الله؛ فيجب أن يكون لك صلة بالكتاب،

صلة بالقرآن سماعًا وقراءةً وتدبرًا وتفسيرًا وحفظاً وفهماً وحكماً ودعوةً وصبراً وجهاداً، فلا تفضل عليه غيره، فبرنامجك اليومي في الكلام، وسماعك لكلام البشر الذي لا يُقدم ولا يؤخر، الكلام الذي ليس بحرام، ما مقداره في حياتك، والقرآن مقداره في حياتك، سماعاً وقراءة فيظهر إنك في خطر عظيم جدًا، تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تتقرب إلى الله بشيءٍ أحب إليه من كلامه.

١٧- **وقال** -صلى الله عليه وسلم- : **إن قريشاً منعتني أن أُبلغ كلام ربي - يعني القرآن -.** وهذا رواه أحمد وهو حديث حسن صحيح ورواه الترمذي أيضاً في سننه.

١٨- **وقال** -صلى الله عليه وسلم- **لجابرٍ : أعلمت أن الله أحيى أباكَ فكلمه كِفاحاً؟!** – يعني مقابلة ومواجهة ليس بينه وبينه حجاب –، أعلمت أن الله أحيي أباك وهذا في سنن الترمذي وهو صحيح أعلمت أن الله أحيى أباك فكلمه كِفاحاً؟ يعني بعد أن قُتل شهيدًا - رضي الله عنه - .

١٩- **وقال** -صلى الله عليه وسلم- : **ويكون بعدي فتنة يُصبح الرجل فيها مؤمناً ويُمسي كافراً، ويُمسي مؤمناً ويصبح كافراً.** إلى هنا الحديث في مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ، أما الزيادة: **إلا من أحياه الله بالعلم**، وهذا من التحذير من الفتن.

النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول لك انتبه أن الأمر لن يبقى كما نحن عليه، فبمجرد ما مات النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وكان على سننه وطريق أبي بكر الصديق، أول ما مات النبي -صلى الله عليه وسلم- ارتدت العرب، أزمة ما بعدها أزمة، لم يحصل فتن وبدع، ارتدت العرب، منهم من عبد الأوثان، ومنهم من تبع أدعياء النبوة، ومنهم من جحد فريضة الزكاة، ومنهم من منعها بخلًا، على أشكال وألوان، من عند أبي بكر - رضي الله عنه – ومن بعده، والفتن تتلاحم على الأمة، شدة شديدة جدًا جدًا فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول : يكون بعدي فتنة يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، وهذا رواه ابن حبان وابن بطة - رحمه الله تعالى – في الإبانة الكبرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - مرفوعاً إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، لكن في إسناده مقال، بالزيادة التي هي : إلا من أحياه الله بالعلم.

كلام الإمام ابن بطة - رحمه الله تعالى – نَستلُّهُ من الإبانة الكبرى بيقول :

من علامة إرادة الله - عز وجل - **بعبده خيراً** - لأجل أن تقيس نفسك، أنت ممن أراد بهم خيراً أم ممن أراد الله به شراً، إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر أين أقامك – **قال : من علامة من أراد**

الله به خيراً لزوم الدعاء والافتقار والالتجاء، نصيبك من الدعاء، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، ربي اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني، اللهم إني أسألك علماً نافعاً، اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، اللهم اني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم اني أعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، أذكار الصباح وأذكار المساء والذكر المطلق، **من علامات إرادة الله بعبده خيراً لزوم الدعاء والافتقار واللجاء** واللجاء واللجئ بمعنى، **ومنها أن يكون حافظًا للسانه، عارفـًا بأهل زمانه، مُقبلاً على شأنه عارفاً لأهل زمانه.**

النبي - صلى الله عليه وسلم- يقول : **لا يمر على أمتي زمانٌ إلا والذي بعده شرٌ منه،** فأنت انتبه كلما تتأخر، الفتن تزيد، فالمعنى إنك تحتاج أن تلتجأ أكثر، تحتاج أن تدعو الله أكثر، تحتاج أن تعتصم بدينك أكثر وليس أنك تتكاسل، الأخ يبدأ في أول الطريق وملتزم ومستقيم، السنة والجماعة والعلم والطلب والدعوة إلى الله، ثم يبدأ يأنس للدنيا ويتكاسل، بالعكس، إن الفرس الجيد إذا قارب انتهاء السباق آتى بكل ما فيه، فالمفترض أنك كلما تقترب تزددْ همتك؛ لأنه المشهد الأخير، والأعمال بالخواتيم كما قال النبي محمد -**صلى الله عليه وسلم**- ، على عكس حال أهل زماننا يأتي بكل ما في طاقته أول الأمر، ثم يتأخر، إلى أن يتراخى نهائيًا تمامًا، هذا خطر جدًا.

فيقول هنا **أن يكون حافظًا للسانه، عارفًا بحال أهل زمانه، مقبلاً على شأنه تاركاً لما لا يعنيه،** لا تكن فضوليًا، هنا من علامة إن شاء الله - **عز وجل** - أراد بك خيراً، الأفضل أن تسكت، لِمَ تراقب عمل لم تطالب به ؟ لماذا تسأل على الذي ليس من شأنك؟ لماذا تتكلم فيما لا يخصك؟ إذا وجدت نفسك مبتلى بهذا الأمر، اعرف أن الله - **عز وجل** - أراد بك شراً وهذا خطير جداً، إذاً هذا نذير انتبه لنفسك.

٢٠- وقال -صلى الله عليه وسلم- **: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكرٍ وعمر** - رضي الله **عنهما** -. وهذا حديث صحيح رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم وصححه والشيخ الألباني أيضاً صححه في تخريج الطحاوية - رحمه الله وطيب ثراه -.

٢١- وقال -صلى الله عليه وسلم- **: لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلاً حتى نشأ فيهم المُولّدون، أبناء سبايا الأمم فأخذوا بالرأي وتركوا السنن.** هو الإسناد فيه مقال لكن الإمام ابن القطان - **رحمه الله تعالى** – قال : إسناده حسن، وبعض أهل العلم ضعفه ولكنَّ المعنى ثابتٌ.

والناظر في تاريخ الأمة الإسلامية بعد النبي محمد -**صلى الله عليه وسلم**- ستجد انقراض عصر النبوة، بعده عصر الخلفاء الراشدين، وبعده العصر الأموي، وبعده العصر العباسي، من لدن العصر العباسي ومن بعده،

وفُتحت نار أبواب البدع والضلالات على مصراعيها، فهنا ظهر المولدون، ومن أين تعرفهم ؟ من خلال قراءة التاريخ الذي هو انفتاح الدولة العثمانية في أرجاء أوربا وشرق آسيا و هذه الأماكن ، بدأ يدخل في المسلمين ثقافات وحضارات ولغات وديانات لم يكونوا من أهل العربية، وثنيين ونصارى ويهود ومجوس وفلاسفة ومناطقة، وكل ثقافات الدنيا دخلت في دولة الإسلام.

فطبعاً الجماعة العرب سُمر وشداد ونحاف، و انفتحت الدنيا ، أصبحت ألوانًا، جاء لنا من الشرق وجاء لنا من الغرب؛ فرغب الناس وخصوصاً ملوك بني العباس، والدولة العباسية في أنهم يتخذوا سبايا من العجم، وأصبحت هذه أم ولد للخليفة فلان، وهذه أم للخليفة الفلاني، وهذا أمه الخليفة الفلاني، وبدأ يقال هذا ابن الخليفة، الذي هو ابن الجارية هذه، أو ابن السبية تلك أصبح ابناً للخليفة، فبدأ يظهر أبناء المولدين الذين ليسوا بعرب، أمهاتهم أعجميات وآباءهم عرب، فبدأ يحصل الشر المستطير، وكلٌ جاء بثقافته، الأغريقي وعابد الوثن والحجر من اليونانيين، كلٌ جاء بثقافته، والهندي عابد النار وبوذا وزرادشت كل جاء بثقافته، والنصراني واليهودي جاء بثقافته، والوثني الإفريقي جاء بثقافته، كل هذا دخل ما عدا العلم بالديانة.

ولذلك يقول بعض السلف - *رضي الله عنهم* - سيدنا أبي هند - *رحمه الله تعالى* –: ما فشت القدرية بالبصرة حتى فشى من أسلم من النصارى؛ لأن النصارى عندهم اعتقاد في القدر محرف، وعندهم اعتقاد في الملائكة محرف، وعندهم اعتقاد في النبوات محرف، وعندهم اعتقاد في الله محرف، دخل بحاله هكذا إلى الإسلام، لم يتعلم شيئاً، وبدأ لا يُجالس أهل العلم فبدأ يصبغ هذا على هذا ، بدأت تظهر المشاكل ، لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلاً حتى نشأ فيهم المولدون، أبناء سبايا الأمم؛ فأخذوا بالرأي وتركوا السنن، فالمولد هو : المحدث من كل شيء والمقصود به هنا من عند العصر العباسي ومن بعده.

٢٢- وقال -صلى الله عليه وسلم- **: إن الله لا ينزع العلم انتزاعًا من صدور الرجال، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء.**ولذلك السلف - *رضي الله عنهم* – يقولون : موت العالم ثلمةٌ في الإسلام لا يسدها شيءٌ ما اختلف الليل والنهار ، إذاً هنا : **لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الرجال، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، فإذا لم يبقَ عالمٌ؛ اتخذ الناس رؤوساً جُهالاً فسُئِلوا؛ فأفتوا بغير علمٍ؛ فضَلُّوا وأضلوا.**

٢٣- ونهى -صلى الله عليه وسلم- **عن قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال.**

نهى النبي -**صلى الله عليه وسلم**- عن قيل وقال، سواءً كان في حديث الدنيا، أو قيل وقال في ذكر الخلافات المنهجية الذين يسمونه المتكلمون، حتى إن الجماعة الأشعرية ومن قبلهم يسمون القضايا العقدية كلها القضايا الكلامية، تحولت لملف القدرية، قالوا والمعتزلة ردوا، الجبرية قالوا والآخرون ردوا، الخوارج قالوا

والآخرين ردوا، وهذا يدخل في معنى قيل وقال التي نهى عنها النبي -**صلى الله عليه وسلم**- ، إما أقاويل الناس في أمر دنياهم كلام لا يقدم ولا يأخر، وإما أنها أقاويل الناس في اختلافاتهم الكلامية في المسائل الدينية.

وإضاعة المال، إنفاق في المعاصي والإسراف ونحو هذه الأشياء.

وكثرة السؤال، وقد نهى النبي -**صلى الله عليه وسلم**- عن المسائل وعابها، أو كره رسول الله -**صلى الله عليه وسلم**- المسائل وعابها، كما رواه البخاري من حديث سهل بن سعد - **رضي الله عنه** -.

٢٤- وكان -صلى الله عليه وسلم- **يكره كثرة المسائل،** كثرة المسائل عمَّا لا يقع، واستعجال الأحكام الشرعية قبل نزول القرآن، وجمهور أهل العلم يقولون هذا كان في عصره -**صلى الله عليه وسلم**- ،أو المسائل التي هي من نوع الأغلوطات – كما سيأتي الآن –، وهي المسائل الصعبة والتي تُسأل على سبيل الاختبار، صاحبك قرأ كلمتين وأتى بالخلاصة، ورأى مخطوطة ورأى قصقوصة، وذهب ليسأل الشيخ الفلاني: هل كذا وكذا يجوز؟ وهو يعلم إنه لا يجوز، ومسألة صعبة وجديدة وذهب يختبر فيها العالم أو الفقيه.

فإذاً هنا النبي -**صلى الله عليه وسلم**- كان يكره كثرة المسائل، كسؤال الناس عما لم يقع، أو سؤال الناس أموالهم مع عدم الحاجة إليها، وعدم الاقتصار على قدر الحاجة؛ لأنه يوجد أناس يتوسعون، وإذا فُتح على الإنسان باب مسألة، فتح الله - **عز وجل** - عليه باب فقر وما فتح عبدٌ باب مسألةٍ، إلا فتح الله عليه باب فقر، لماذا؟ لأنه يستكثر، معي عشرة، أجعلهم عشرين، وكله شحاذه، أريد أن آكل؛ إذا تعال إلى المحل أيضًا، أريد أن ألبس، فألبس الولد، لا أستطيع شراء سيارة، اجعلها طائرة وهكذا، ولا يملأُ عينَ ابنِ آدم إلا التراب.

فهنا يقول : نهى عن كثرة المسائل: إما سؤال الناس أموالهم مع عدم الحاجة وعدم الاقتصار على قدر الكفاية، أو كثرة المسائل عمَّا لم يقع، أو كثرة المسائل على سبيل المماحلة والمغالطة والمشاقة على المسؤول.

٢٥- ونهى النبي -صلى الله عليه وسلم- **عن الأغلوطات** وهذا في إسناده ضعف، خرجه أحمد وأبو داوود والطبراني في الأوسط وهو حديث ضعيف.

٢٦- وقيل هي شداد المسائل وصعابها، سيقابل العالم بمجموعة أحاديث للاختبار، قرأ كلمتين، قرأتَ ليُقال قارئ، فإذا قيل، خذوه إلى النار وانتهت، فأنت تَعلّمِ العلمَ؛ لأجل أن تنجو، ولا تتعلم العلم لتقول ها أنا ذا؛ لأن هذه مشكلة وآفة من الآفات، وقلنا أن العلم له صولة، وتحصيل المعلومات لها صولة، إن لم تكن أنت ستلجمها بلجام الخوف من الله – **سبحانه وتعالى** -، سوف تقودك إلى النار عياذاً بالله، وقال ابن مسعود - **رضي الله عنه** -: أنذرتكم صعاب المنطق، يعني المسائل الدقاق والغوامض، وطبعاً الأخ سيذاكر

إلى أن ينتهي من المتن الذي في يده، والشرح الذي عليه والأشياء التي أخذها، و يُجادل إلى أن يعود علمه شُؤماً عليه، لا بركةً وخيراً.

٢٧-وقال -صلى الله عليه وسلم- فيما رواه البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: **ذروني ما تركتكم، أو دعوني ما تركتكم**، وهو الشيخ هنا ذكره بلفظ **اتركوني ما تركتكم**، وهو في البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -بلفظ : **دعوني ماتركتكم**، وفي مسلم بلفظ **ذروني ما تركتكم**، ولكن المعنى ثابت، وبذلك يكون دعوني ذروني اتركوني كلها بمعنى، الإمام الأوزاعي – رحمه الله تعالى - لأجل أن يعرفك أيضًا أدب من آداب السؤال بيقول : إذا أراد الله أن يَحرم عبدَه بركة العلم ألقى على لسانه الأغاليط، صاحبك الذي يأتي بالخلاصة، ودائماً يأتي في وسط الدرس ويسأل سؤالًا معَقَّدًا؛ لأجل أن يحرج الشارح، أو لأجل أن يقول للناس أنه مذاكر والمسألة واضحة بزيادة، إذا أراد الله أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه الأغاليط، وهي شداد المسائل وصعابها.

٢٨- وقال -صلى الله عليه وسلم- : **أعظم المسلمين في المسلمين جُرماً، من سأل عمّا لم يُحرَّم، فحُرِّم من أجل مسألته.** وهذا حديث متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -، وطبعاً الحافظ ابن حجر له كلام عظيم جدًا جدًا في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيح الإمام البخاري حول شرح هذا الحديث، خلاصة الأمر إنه يقول: إما أن يكون هذه المسألة التي سألها السائل ولم تكن حرمت فحُرمت من أجل مسألته، يا ترى هذا في عصر النبوة أم بعده؟ بعد ما مات النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يعد هناك تحليل وتحريم، محمولة على أنها في عهد النبوة، أو كان ذلك منهم استعجالاً لنزول القرآن قبل نزوله وربنا قال للنبي -صلى الله عليه وسلم- ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ القيامة: ١٦،فكيف بغيره -صلى الله عليه وسلم- ، وربنا قال﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ ﴾ المائدة: ١٠١، يعني أنت لا تسأل عن شيء لم يُحرَّم، وتتابع في السؤال إلى أن تصل للتحريم، لا تسأل عن شيء لم يجب، وتتابع السؤال إلى أن تصبح فرضًا عليك، ولاتقوم به، فأنت ضيقت على نفسك بعد أن وسع الله عليك.

٢٩- وقال -صلى الله عليه وسلم- : **من أحدث حدثاً او آوى مُحدِثاً** – وتقرأ مُحْدَثاً أيضاً – **فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.** والحديث في الصحيحين يقول : المدينة حرم الله من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً – مطلع الحديث هكذا– المدينة حرم الله من أحدث فيها حدثاً او آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

سنقف وقفة صغيرة مع معنى الحدث لغةً وشرعاً، ومن خلال كتاب قواعد معرفة البدع للدكتور محمد حسين الجيزاني، نقرأ المعنى في الصفحة ٢٤ من الكتاب، تحت عنوان العلاقة بين الابتداع والإحداث يقول : الابتداع والإحداث يردان في اللغة بمعنىً واحد، فإذاً المحدث والمبتدع بمعنى، الإحداث والابتداع بمعنىً، إذ معناهما : "الإتيان بالشيء المخترع بعد أن لم يكن" هذا في المعنى اللغوي، وأما في المعنى الشرعي فقد دلت عليه الأحاديث المتقدمة (كل بدعة ضلالة)، (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، إياكم ومحدثات الأمور)، فقد دلت الأحاديث المتقدمة على أن للبدعة في الشرع اسمين : البدعة والمحدثة، إلا أن لفظ البدعة غلب إطلاقه على الأمر المخترع المذموم في الدين خاصة، أما لفظ المحدثة فقد غلب إطلاقه على الأمر المخترع المذموم في الدين وغيره؛ لأن النبي -**صلى الله عليه وسلم**- يقول: (من أحدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو رد)، (كل بدعة ضلالة) فإذاً هنا البدعة ما أُحدث في الدين من غير دليل، فإذاً هنا إحداث خاص في الدين، أما المحدثة فقد غلب إطلاق هذا اللفظ على الأمر المخترع المذموم في الدين أو في غير الدين، أمور دنيوية مثلاً.

وبهذا يُعلم أن الإحداث أعم من الابتداع؛ لكون لفظ الإحداث شاملاً لكل مخترعٍ مذموم ، لكل مخترعٍ مذموم في الدين كان أو في غيره، إذ يدخل في معنى الإحداث: الإثم وفعل المعاصي، ومنه قول النبي -**صلى الله عليه وسلم**- : من أحدث فيها حدثاً او آوى محدثاً فعليه لعنة الله، قال ابن حجر في معنى من أحدث فيه حدثاً : يعني أحدث المعصية، وبذلك يتبين لنا أن لفظ المحدثة بهذا النظر متوسط بين معنيي البدعة في اللغة والبدعة في الشرع، فهو أخص من معنى البدعة في اللغة وأعم من معناها في الشرع.

ولو رسمناهم دوائر سنجدهم ثلاث دوائر داخل بعض، أوسع دائرة البدعة في اللغة ، الدائرة التي بعدها المحدث، الدائرة التي بعدها البدعة في الشرع، فتحصل لدينا ثلاثة معانٍ :

الأول: الأمر المخترع مذموماً كان أو محموداً في الدين كان أم في غيره.

الثاني : الأمر المخترع المذموم في الدين كان أو غيره.

الثالث : الأمر المخترع المذموم في الدين خاصة.

فالأول عام وهو المعنى اللغوي للبدعة والمحدثة، الثاني خاص وهو المعنى الشرعي الغالب للمحدثة، الثالث أخص وهو المعنى الشرعي للبدعة وهو أيضاً المعنى الشرعي الآخر للمحدثة.

نرجع للحديث : من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً، المحدِث اسم فاعل، ماذا يعني يؤوي المحدِث؟ يؤوي فاعل المعصية، كأنه يقول: الرجل الذي عمل الذنب هذا خاص بي، بمعنى لا أحد يُعاقبه، فيمنعه من إقامة حد الله فيه، أو يمنعه من التعزير الشرعي، أو يمنعه من ضمان المُتلف الذي أتلفه، إلى آخره، هذا إيواء للمحدث، ولما

تُقرأ من آوى محدثاً، بمعنى أقرَّ ذنباً او أقرَّ مُنكراً او أقرَّ بدعةً، فإذاً الإيواء يأتي بمعنى الحماية أو بمعنى الإقرار و عدم الإنكار، فقالوا للحسن ما الحدث؟ قال: أصحاب الفتن كلهم محدثون، وأهل الأهواء كلهم محدثون، أي يحدثون في الدين ما ليس منه، وقد بوب الإمام البخاري – رحمه الله تعالى – في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيحه : باب ما يُكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدعة.

٣٠- **وقال** -صلى الله عليه وسلم- : **كلاب أهل النار أهل البدع.** وهذا لم يرد بهذا اللفظ محفوظاً عن رسول الله -**صلى الله عليه وسلم**- ، لكن المحفوظ ما خرجه الترمذي وابن ماجة من حديث أبي أمامة وكذلك عند الحاكم وصححه وصححه الشيخ الألباني : **الخوارج كلاب أهل النار.**

٣١- **وقال** -صلى الله عليه وسلم- : **من وقـَّر صاحب بدعةٍ فقد أعان على هدم الإسلام.** هذا لا يصح مرفوعًا لكنه صح موقوفًا عن بعض الصحابة وبألفاظ مختلفة منها : من مشى إلى صاحب بدعةٍ ليوقره؛ فقد أعان على هدم الإسلام .

وقد قلنا المهم جداً أن هذه الأحاديث ونظائرها والآثار الآتية لابدَّ فيها من التفريق بين النوع والمعين، فمع أن هذا الكلام حقٌ على حقيقته، من فعل كذا فهو في النار، ومن فعل كذا فقد أعان على هدم الإسلام، ومن فعل كذا فقد خلع رقعة الإسلام من عنقه، هذا حقٌ على حقيقته، لكن ينبغي في ذلك كله التفريق بين النوع والمعين، وهذه جادة الصلة فيه، لأنك لو تمسكت بظاهر الأحكام القرآنية والسنن النبوية، ورميت فيها الناس خلاص خوارج، أو غالي في التبديع، إن لم يكن تكفير فهو غلو في التبديع، لو أنك صرفتها عن ظاهرها تماماً لأثبتها على نوع ولا على معين، إذاً أنت أتلفت الدين الذي جاء به رسول الله -**صلى الله عليه وسلم**- ، فما هو الضابط في المسألة؟

ما جاء به رسول الله -**صلى الله عليه وسلم**- كتابُ الله حقٌ على حقيقته، لكن ينبغي التفريق في ذلك بين النوع والمعين، ولا يكون الحكم حتى تجتمع كل الشروط وتنتفي الموانع ، أي حكم : أحكام تبديع، أحكام تفسيق، أحكام وعد، أحكام وعيد، ولا يكون الحكم حتى تجتمع كل الشروط والموانع ترتفع، فليس كل من وقع في بدعة كان صاحب بدعة، ولا كل من عاقر بدعة كان مبتدعاً، فقد يكون لا يفهم حاجة أصلاً، وقد يكون يتأولها حقاً، يتأولها سنةً، قد تكون المسألة موضع خلاف بين أهل العلم، قد تكون المسألة مجمع عليها لكن صاحبنا عنده عذر من الأعذار، مكره جاهل متأول مخطئ ناسي ساهي إلى آخره.

٣٢- **قال ابن مسعود** - رضي الله عنه - : **خطَّ لنا رسول الله** -صلى الله عليه وسلم- **يوماً خطاً فقال هذا سبيل الله، ثم خطَّ خطوطاً عن يمين الخط ويساره، وقال : هذه سبل**

- طرق - **على كل سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه ثم تلا هذه الآية** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ﴾ الأنعام: ١٥٣ ،يعني الخطوط التي عن يمينه ويساره.

٣٣- **وقالت أمنا عائشة** - رضي الله عنها -: **تلا رسول الله** -صلى الله عليه وسلم- **قوله** ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ﴾ آل عمران: ٧، **قالت : سمعت رسول الله** -صلى الله عليه وسلم- **يقول : إذا رأيتم الذين يُجادلون فيه فهم الذين عنى الله؛ فاحذروهم.** فهم الذين عنى الله، فهم الذين سماهم الله؛ فاحذروهم، والحديث متفق عليه عن أمنا عائشة - رضي الله عنها - ، فهنا قولها إذا رأيتم الذين يُجادلون فيه هو المتشابه﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ﴾ آل عمران: ٧ فهي لا تلبس على قارئها أو سامعها من أهل العربية ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ﴾ آل عمران: ٧ ،فأين الإشكال؟ في موضع التشابه، وطبعاً هذا التشابه في هذا الموضع تشابه نسبي، وليس تشابهاً مطلقاً، لماذا؟ لأنها تشتبه على أهل الأهواء والزيغ والبدع، ولكنها عند أهل العلم ليست مشتبهة، بل هي محكمات؛ فيردون متشابهات الكتاب إلى محكماته؛ فيتسق الكتاب كله، فإذاً ليس هناك تشابه، وفي رسالة مهمة لشيخ الإسلام ابن تيمية مدرجة في مجموع الفتاوى اسمها : الإكليل في المحكم والمتشابه والتأويل ،رسالة رائعة جدًا، ومن أروع ما كتب شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى – على صعوبةٍ فيها.

٣٤- **وقال** -صلى الله عليه وسلم- **: ما ضلَّ قومٌ بعد هدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدَل، ثم قرأ** ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ الزخرف: ٥٨، وطبعاً هنا توافدت كلمات أهل السنة والأئمة الكبار على ذم الجدل، الجدل الذي هو في الحق بعد ما تبين، ولذلك ربنا يقول﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ الأنفال: ٦، أما المناظرة والمناقشة، وإن كانت على بعض القواعد الجدلية لإيصال الحق للخلق ليس هو، ويوجد كلام كثير لشيخ الإسلام ابن تيمية في استعمال بعض العلوم الأجنبية عن العلوم الإسلامية؛ مثل المنطق وكالجدل وكالكلام، ونحو هذه المصطلحات، وما يصح منها وما لا يصح.

لأن المسألة فيها طرفين وسط، يوجد رافضين ويغلقون الباب تماماً لا يقبلون منه حرفاً واحداً، ويوجد من يفتحون الباب على مصراعيه، بل أوجبوه على الناس بل جعلوه فرضاً عينياً، لكل من ناظر في العقيدة أو الشريعة، ويوجد متوسطين في المسألة قالوا أن فيه صواب وفيه خطأ، والصواب فيه يُطلب في أماكن محدودة

جدًا، وعلم المنطق وغيره من المقدمات الجدلية والكلامية، تُشبه شكل علوم الحساب والرياضة، لا يُستفاد منها في دين الله بشيء؛ ولكنها توسع المدارك، وتجعل الإنسان يفهم بعض الأشياء ، ولكن لأجل أن تعرف منها الكتاب والسنة وأصل الملة والشرع ليس بابه.
سنقرأ كلام مختصر لشيخ الإسلام في هذه المسألة، في معنى المنطق والجدل؛ لأنهما متقارنان متشابهان، المجلد التاسع في الترتيب القديم، المجلد الخامس في الطبعة الجديدة، يوجد طبعتان اثنتان مشهورتان، طبعة دار الوفاء بالمنصورة وهي عشرين مجلد، الطبعات القديمة وهي ٣٧ مجلد، في الـ٣٧ مجلد سيكون التاسع اسمه المنطق، في الطبعة الجديدة الوفاء بالمنصورة سيكون المجلد الخامس الجزء الأول من المجلد الخامس صفحة ٧ و ٨ معنا في سؤال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى – عن مسألة المنطق، الكلام بسيط جداً سنقرأ كلامًا كثيرًا.

سُئل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله تعالى –: ما تقولون في المنطق؟ ستقول لي أن الرجل يتكلم عن الجدل ولماذا أنت أتيت في المنطق ؟ لأنهم إخوات لأجل أن تنتبه، المسائل هذه كلها تفريقات بسيطة، ما تقولون في المنطق؟ وهل من قال إنه فرض كفايةٍ، مصيبٌ أم مخطئ؟ فأجاب - رحمه الله تعالى –: الحمد لله أما المنطق فمن قال إنه فرض كفايةٍ وأن من ليس له به خبرةٌ؛ فليس له ثقةٌ بشيءٍ من علومه، فهذا القول في غاية الفساد من وجوهٍ كثيرة التعداد، مشتملٌ على أمور فاسدة، ودعاوى باطلةٍ كثيرة، لا يتسع هذا الموضع لاستقصائها، بل الواقع قديماً وحديثاً أنك لا تجد من يُلزم نفسه أن ينظر في علومه، علوم المنطق من الكلام والجدل إلى آخره – وأخواتها يعني – ويُناظر به إلا وهو فاسد النظر والمناظرة، كثير العجز عن تحقيق علمه وبيانه، فأحسن ما يُحمل عليه كلام المتكلم في هذا وشيخ الإسلام ابن تيمية من المتوسطين في هذا الباب، لا هو وسّع المقالة جداً، ولا هو أغلقها تماماً ،كبعض المتقدمين من أهل السنة يقول : فأحسن ما يُحمل عليه كلام المتكلم في هذا، أن يكون قد كان هو وأمثاله في غاية الجهالة والضلالة، وقد فقدوا أسباب الهدى كلها، فلم يجدوا ما يردهم عن تلك الجهالات إلا بعض ما في المنطق من الأمور التي هي صحيحة، فإنه بسبب بعض ذلك رجع كثيرٌ من هؤلاء عن باطلهم؛ لأنه فقد كل أسباب الهدى، لا كتاب ولا سنة ولا مراجعة، إمام من أئمة أهل العلم والهدى ليس عنده إلا الطريقة هذه، والله الغريق يتعلق في قشة.

فإنه بسبب بعض ذلك رجع كثيرٌ من هؤلاء عن باطلهم، وإن لم يحصل لهم حقٌ ينفعهم، يعني رجع عن الباطل ولم يتحصل حقاً، وهذه مرحلة من مراحل النجاة، وإن وقعوا في باطلٍ آخر ومع هذا فلا يصح نسبة وجوبه إلى شريعة الإسلام بوجهٍ من الوجوه، إذ من هذا حاله فإنما أوتي من نفسه بترك ما أمر الله من الحق؛ حتى احتاج إلى الباطل، ومن المعلوم أن القول بوجوبه قول غلاته وجهال أصحابه، ونفس الحذاق منهم لا يلتزمون قوانينه في كل علومهم، بل يُعرضون عنها إما لطولها وإما لعدم فائدتها، وإما لفسادها، وإما لعدم تميزها وما فيها من الإجمال والاشتباه، فإن فيه مواضع كثيرة هي لحم جملٍ غث، على رأس جبلٍ وعر،لا هو سهل فيعتق ولاسمين فيُنتقل.

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً